الدكتورة: خيرة بورنان السنة الثانية: قسم الفلسفة

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

المحاضرة رقم: 04

الأساس الأسطوري لفلسفة التأويل
(في الفكر الفلسفي اليوناني)

ثانيا: دلالة الهيرمينوطيقا في أدبيات الفكر الفلسفي اليوناني

لئن كان الفضاء الديني واللاهوتي هو الذي احتضن مفهوم الهرمينوطيقا وحدد دلالته وأثار بعض قضايا المعنى والتأويل من خلال تفسير النصوص المقدسة لاسيما في التقاليد اليهودية والمسيحية، فإن الإطار المعرفي الذي أصل مفهوم الهيرمينوطيقا هو إطار فلسفي. وإذا نظرنا إلى الأبعاد الفلسفية لهذا المصطلح في الفلسفة اليونانية يمكن القول أنه لم يكن يمثل نظرية فلسفية قائمة بذاتها، رغم أننا نجده قد ورد بدلالات متفاوتة ومختلفة، ومن ذلك التفسيرات الهيمورية (نسبة إلى الشاعر هوميروس)، ومحاورة أيون لأفلاطون وكتابي العبارة وفن الشعر لأرسطو.

أ/ أفلاطون

يتكرر حضور لفظ الهيرمينوطيقا في المتن الأفلاطون، لكنّه يحيل إلى الدّلالة نفسها؛ دلالة دينية ترتبط بما هو مقدّس، إن الهرمينوطيقي(المُؤوِّل)، باختلاف شخوصه في

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل
في العصور الوسطى

محاورات أفلاطون، هو لسان حال الآلهة وحامل رسالتها إلى العوالم المختلفة. يقدم أفلاطون في (محاورة بروتغوراس) هرمس على أنه مبعوث زوس، ويرتبط اسمه بالخطاب ونشاطه يتوقف على قدرته على الخطاب، فهو مؤول ورسول. كما يظهر أيضا لفظ هيرمينوطيقا في (محاورة السياسي للتعبير) عن دور الكاهنة كواسطة بين الآلهة والبشر، وحيث يدّل التأويل على فن التنبؤ والتكهن أي تأويل الوحي الإلهي وترجمة رسائله تحليلا عقليا[1]. أما(محاورة أيون) في نظر الكاتب التونسي زهير الخويلدي، فتعد« من الينابيع الصافية التي نهل منها مؤسسي هذا الاختصاص النبيل الذي سمي منهج تفسير النصوص الدينية، أو نظرية في التأويل، أو فن في الفهم»[2]. في هذه المحاورة يستوي الشاعر والهرمينوطيقي، ويندمغان في شخصية واحدة.

لقد استعمل أفلاطون مصطلح هيرمينوطيقا في (محاورة أيون)، وهو شاعر يقوم بتلاوة أشعار هوميروس(هومر)، تلاوة تتعدى حدود الالقاء والتعبير، إلى التأويل والتفسير، وتؤدى في فضاء المهرجانات والتباري بالقصائد حيث العلاقة متوترة بين الراوي والجمهور، في جوّ طقوسي، في مناسبات محددة، ليست ميسورة الفهم للجميع؛ فالرسالة مُلغزة وتطلب من المتفرج قدرة على فك الرموز من أجل تحصيل الفهم. لذلك كان لابد أن يوجد الوسيط. هنا يؤدي الشاعر بوصفه حاملا لرسالة هوميروس، الدّور نفسه الذي يؤديه هرمس، بكونه يتلقى الإلهام من ربة الشعر والآلهة، وبكونه وسيطا بينها وسائر المتلقين لتلك الأشعار، وناقلا

_1

_2

كلامها؛ ويصيبه مس يفقده عقله وإحساسه حين تلقيه الإلهام[3]؛ فهو يكون خارجا عن طوره وكأن روحه في وَجد تجوس بي الشخصيات والأماكن. وهو أيضا يتمتع بالميزات والخصائص الهرمسية، من حذق ومهارة، وصوت جميل ومؤثر...إلخ.

إنَّ تلاوة الأشعار الهوميرية ليست تكرارا ببغائيا(كالببغاء) من دون "فهم"، يقول أفلاطون على لسان سقراط:« **إن "فهم" هومر ليس مجرد حفظ كلماته عن ظهر قلب، لشيء يحسد عليه المرء حقا. ولن يتسنى لإنسان أن يكون رَاوِيَة قصائد ملحمية ما لم "يفهم" المعنى الذي يرمي إليه الشاعر، لأن الرَّاوِيَة ينبغي عليه أن "يُؤَوِّلَ" عقل الشاعر لمستمعيه. وما كان له أن يؤوله حق تأويله ما لم يعرف ما يعنيه»**[4].

وإذا كان للشاعر هذه السلطة(رسول الآلهة)، فهل تراه حاملا للحقيقة المطلقة؟ وإن يصح ذلك، فهل يشارك الشاعر، الحكيم(الفيلسوف) الهَمَّ نفسه؛ أي الانهمام بالحقيقة؟ وقبل هذا وذاك هل الهرمينوطيقا ضرب من الالهام ينم عن حرية تند عن قواعد الفن والمنهج، أم أن ما يقوم به الهرمينوطيقي(الشاعر) يتم وفقا لقواعد؟

بالنسبة إلى أفلاطون تلاوة الأشعار ليست فنا أو علما، لكن مجرد مهارة فردية، يقول: « **كثيرة هي الأقوال البليغة التي يتحدث بها الشعراء عن أفعال البشر، غير أنهم لا يفرغون قولهم بواسطة أي قواعد فنية. إنهم ببساطة مدفوعون إلى نطق ما تمليه عليهم آلهة الشعر دون غيره**». ويذكر أفلاطون على لسان سقراط ، مدحضا حجة أيون:« **لو**

_3

_4

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل

في العصور الوسطى

كنت قادرًا على أن تتحدث عنه وفقًا لقواعد الفن لكان تسنى لك أن تتحدث عن بقية الشعراء». وليس هوميروس فقط.

وقدرة "الفهم" التي يتميز بها الشعراء التي جعلت أفلاطون يعتبرهم "مترجمي الآلهة"، و"مفسري الآلهة"، لا تعود إلى اتباعهم قواعد فنية، يكون الوحي الإلهي بموجبها في مأمن عن الزلل والضلال، ذلك« **أن جميع الشعراء المجيدين الملحميين منهم والغنائيين، يؤلفون قصائدهم الجميلة لا بواسطة الفن، بل إنهم ملهمون وممسوسون»**. وما اختيار أيون في آخر المحاورة: الالهام على التضليل(الوعي)، لدليل قاطع على أن الهيرمينوطيقا/ الشعر، إن هي إلا ضربا من الالهام وليست فنا.

وإذ ذاك فالفرق بين الفيلسوف والهرمينوطيقي، هو أن الأوّل ينشد الحقيقة ويسلك في سبيل ذلك منهجا يسير فيه وفق خطوات محددة، وقواعد محددة(الجدل الصاعد والجدل النازل)، سيصل إلى الحقيقة المطلقة كل من يسلكها، لطابعا الكلّيّ، بينما يطلب الثاني وهو في حالة لاوعي المعنى وقلما يظفر به لصعوبة الفن الكلّيّ الذي يؤدي إليه. ولهذا فلا غرابة أن يطرد أفلاطون الشعراء ـ حتى وإن كانوا حملة الرسالة الإلهية ـ من المدينة في(محاورة الجمهورية) لابتعادهم عن الحقيقة واتقانهم فن الكذب والخداع.

ب/ أرسطو:

أن التأويل عند أرسطو يظهر بوصفه تفسيرا، وهو اتجاه يؤكد البعد التفسيري للفهم وليس مجرد البعد التعبيري. ولقد ورد مصطلح هيرمينوطيقا عند أرسطو كعنوان للمبحث الثاني في الأرغانون، هو (Peri herneneias) أو عن التأويل. وقد ترجم إلى العربية باسم كتاب(العبارة). في كتابه هذا يُعرف أرسطو التأويل بأنه «إقرار» أو «إعلان»، وهو

محاضرات في مقياس: فلسفة التأويل

في العصور الوسطى

يشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن؛ إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه. والتأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر إذ يصوغ حكمًا صادقًا عن شيء ما، وفقًا لأرسطو.

والتأويل عند أرسطو ينبغي ألا يختلط بالمنطق، فالمنطق ينطلق من مقارنة العبارات المعلنة، أما التأويل فهو صياغة العبارات ذاتها وليس عملية الاستدلال من الأشياء المعلومة إلى المجهولة.